كأمر الرومان مع اليونان من وجوه كثيرة ، فقد سبق الفرس إلى الحضارة والنظام ، وأخذوا منها بنصيب موفور قبل أن يخضعوا لسلطان الأمة العربية فلما جاء الإسلام وكان الفتح ، ومكن الله للعرب في بلاد الفرس ، لم يكن هذا الجهاد عنيفا حين كانت الحياة المادية موضوعه ، فكل الناس يؤثر اللين على لخشونة ويفضل النعمة على البؤس ويحرص على أن يستبدل الإثراء بالعدم وإنما كان الجهاد عنيفا بعض العنف حين كانت الحياة العقلية موضوعا له ، فاشتد النضال بين أنصار العادات العربية القديمة و السنن العربية الموروثة ، ولم يكد ينقضي القرن الأول للهجرة حتى ظهر انتصار الجديد وأخذ القديم ينهزم أمامه ، فانتصرت الحضارة واشتدت فيها رغبة العرب من أهل المدن على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية ، وكان هذا الانتصار عاما تناول الحياة المادية والعقلية وتناول معهما حياة الشّعور ، ففكر العرب المحدثون بطريقة تُخالِف مخالفة شديدة تفكير العرب القدماء وعاشوا في قصورهم عيشة تخالف عيشة ابائهم وما أكثر الذين أثروا عيشة الفرس وغير لفرس وتفكيرهم ، على عيشة العرب وتفكيرهم ، ووُجد هؤلاء الشعراء والكتّاب والفلاسفة الذين كانوا يسخرون من كل قديم ويحتفلون من كل جديد ويجهرون بذلك حينا ويسرَّون حينا آخر يأمنون معه دهرا ، ويلقون في سبيل الموت من وقت إلى وقت، وُجد مطيع بن إياس الذي كان لا يبالي أكان عفيفا أم مرذول السيرة ، الذي لم يكن يحفل بدين ولا بدّنيا . كان أبو نواسي زعيما لطبقة أخرى كانت أشد من الأولى فجورا وأقل منها حرصا على استنار . على أنّ من الحق أن نعرف لابي نواس شيئا غير هذا الفسق والإغراق في المجون وهو أنّه كان بريد أن يتَخذ ويتخذ الناس معه في الشعر مذهبا جديدا هو التوفيق بين الشعر وون الحياة الحاضرة بحيث يكون الشعر مرآة صافية تتمثل فيها الحياة ومعنى ذلك العدول عن طريق القدماء ، فإذا تغيرت ضروب العيش هذه وجب أنّ يتغير الشعر الذي يتغنى بها ، فليس يليق بساكن بغداد المستمتع بالحضارة ولذّاتها أنْ صف الحيام والاطلال وإنما يجب عليه أنْ يصف القصور ويتغنى بالحمر والقيان ، غير ذلك فهو كاذب . ولم يكن يدعو إلى تجنب أساليب القدماء في وصف الأطلال والبكاء عليها وحدها وإنّما كان يدعو إلى تجنب سُنة القدماء في المعاني والألفاظ جميعا . فهو يطالب الشعراء بأنْ بكونوا صادقين غير منافقين مع أنفسهم فإذا نبذوا القديم واجتنبوه في واقع الأمر فمن الحق عليهم ألا يخفوا هذا، لا تسقني إنْ كنتَ بي عالما * إلا التي أضمرتُ في صدرِي هات التي تعرف وجدي بها * واكن بما شُئْتَ عن الخمر يا حبذا الجهرُ بأمر الصبا * ما كنتَ من ربك في سَتْ لذلك آثر العنف في خطاب خصمه ، فأسرف في ذمّ القديم والنعي على من يتكلفه ، وأسرف في مدح الجديد والحث عليه وتبرّمه بأسد ومن يبكي على أسد وإلى ذمّه لتميم وقيس ، ويخلص إلى احتقار القديم ويرفع من شأن الجديد ويأخذ الناس بأن ينظروا إلى ما حولهم من جمال الطبيعة فيألفوه ويصفوه ولا يشغلوا عن رياض العراق وجناته ، بطلول الجزيرة وصحاريها. فإنّ شعر أبي نواس في الخمر كان يرمي إلى غرضين اثنين : الاعتراف بالجديد في الأدب والاعتراف بالجديد في الحياة بل نستطيعٍ أن نوجز فنقول كان شعر أبي نواس كله رفضا للقديم في كل شيء وكلفا بالجديد في كل شيء.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي